الاساطير والمفاهيم الدينية في المجتمع العربي الجاهلي

Myths in the Life of Arabs Before Islam

م.د. حسين علوان حسين

Asst Author: Dr. Husein Alwan Husein

جامعة سامراء / كلية العلوم الإسلامية / قسم العقيدة والفكر الإسلامي

University of Samarra, College of Islamic Sciences / Department of Creed and Islamic Thought

E-mail: hussein.a.hussein@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الاساطير ، ميثولوجية، اعتقادات ،العرب قبل الاسلام

Keywords: Myths, Mythology, Beliefs, Pre-Islamic Arabs

الملخص

إنّ دراسـة الأسـاطير فـي حيـاة العـرب فـي العصـر الجـاهلي قبـل الإسـلام تكشـف عـن جانـبٍ مهـمٍ مـن ملامـح البيئـة الثقافيـة والروحيـة التـي سـبقت ظهـور الـدعوة المحمّديـة، رغـم شـحّ المـدوّنات المكتوبـة وضـياع قسـمٍ كبيـرٍ مـن تـراث شـبه الجزيـرة العربيـة آنـذاك، فـإنّ المـواد القليلـة الباقيـة – كـالنقوش والروايـات الشـفهية وبعـض الإشـارات فـي كتـب الأخبـار والتـاريخ– تـدلّ علـى تنـوّع اعتقـادات العـرب، مـا بـين تقـديس النجـوم والكواكـب واعتقـادهم بـالجنّ والسـعالي والغـيلان، وارتبـاطهم بأصـنامٍ تمثّـل الـدهر أو ترمـز للخصـب والمطـر، وقـد أثّـرت البيئـة الصـحراوية القاسـية فـي تشـكيل هـذه العقائـد؛ إذ اعتمـد أهلهـا علـى القضـاء والقـدر والمطـر، كمـا تـأثروا بحضـارات مجـاورة كبابـل والـروم والفـرس، وانفتحـوا لاحقًـا علـى اليهوديـة والمسـيحية، ممـا عـزز فـي امـتلاك العـرب بـذورًا ميثولوجيـة وأُسسًـا دينيـة محليـة تفاعلـت مـع المـؤثّرات الخارجيـة قبـل أن يـأتي الإسـلام بمنظومـة التوحيـد التـي هـدمت الأصنام وأعادت تشكيل التفكير الديني لدى المجتمع العربي.

Abstract

The study of myths in the life of Arabs before Islam reveals an important aspect of the cultural and spiritual environment that preceded the emergence of the Muhammadan message. Despite the scarcity of written records and the loss of a large part of the heritage of the Arabian Peninsula at that time, the few remaining materials—such as inscriptions, oral narratives, and references in historical and anecdotal texts—indicate the diversity of Arab beliefs. These ranged from reverence for stars and planets to belief in jinn, ghouls, and mythical creatures, as well as a connection to idols symbolizing time, fertility, or rain.

The harsh desert environment played a significant role in shaping these beliefs, as the inhabitants relied heavily on fate and rainfall. Additionally, they were influenced by neighboring civilizations such as Babylon, Rome, and Persia, and later became exposed to Judaism and Christianity. This led to the development of indigenous mythological elements and religious foundations that interacted with external influences, before Islam arrived with its monotheistic system that abolished idol worship and reshaped the religious mindset of Arab society.

المقدمة

عـانى البـاحثون صـعوبات جمّـة فـي استقصـاء الأسـاطير العربيـة القديمـة بدقـة علميـة، إذ قلَّـت النصـوص التاريخيـة الموثوقـة، وضـاع جانـب كبيـر مـن الأدب العربـي القـديم نتيجـة عـدم انتشـار الكتابـة فـي شـبه الجزيـرة العربيـة قبـل الإسـلام، ومـع ذلـك اسـتطاع الدارسـون جمـع شـذرات مـن أخبـار تلـك الحقبـة مـن خـلال دراسـة النقـوش، والاسـتناد إلـى الروايـات الشـفوية، والاسـتفادة ممـا دُوِّن فـي العصـور اللاحقـة ضـمن كتـب السـير والتـاريخ والأدب.

وتبـرز مجموعـة مـن المصـادر التـي تضـم إشـارات متفرقـة تفيـد فـي دراسـة معتقـدات العـرب وأسـاطيرهم قبـل الإسـلام، مثـل سـيرة ابـن هشـام، التـي تناولـت أخبـار العـرب وأنسـابهم، وأخبـار عبيـد بـن شـرية، التـي حـوت روايـات عـن الأمـم السـابقة، والإكليـل لابـن هشـام، الـذي ضـمّ معلومـات عـن أنسـاب حميـر وأخبـارهم، كمـا تضـم القائمـة مصـادر أخـرى لاحقـة مثـل الأغـاني لأبـي الفـرج الأصـفهاني، الـذي سـرد كثيـرًا مـن الروايـات عـن العـرب الجـاهليين، ومـروج الـذهب للمسـعودي، الـذي عـرض جوانـب مـن معتقـداتهم وحيـاتهم الاجتماعيـة، وأخبـار مكـة للأزرقـي، الـذي وثَّـق بعـض العـادات الدينيـة والممارسات المتوارثة في مكة قبل الإسلام.

المبحث الاول: ماهية الاسطورة

المطلب الاول: تعريف الاسطورة لغة وأصطلاحاً:

أولاً: الاسطورة لغة:

تعريف الاسطورة: "الأسطورة هي الأحاديث الباطلة والقصص المختلطة غير المنسجمة، التي لا تخضع لنظام منطقي أو ترتيب واضح. وجمعها: أسطار، أساطير، وأسطور. وهي لفظة دخيلة على العربية، مُعربة عن اليونانية " "storiyaواللاتينية ""Historia، وكانت تُستخدم عند الإغريق والرومان للإشارة إلى كتب الأساطير والتاريخ على السواء". (علي، ٢٠٠٦، ج. ٥، ص.٤٣).

وتُعرّف ايضاً بكونها سرد خيالي يتضمن أحداثًا خارقة للطبيعة، تُستخدم لتفسير الظواهر الكونية أو الطبيعية(Oxford English Dictionary, 2020, p. 452) تم تداولها بصيغة رواية قديمة عبر الأجيال، لتوضح ممارسات دينية أو تاريخية أو طبيعية بوسائل بسيطة (Merriam–Webster Dictionary,2021,p361)،وقد وصفت بأنها مجموعة من القصص الخيالية التي تروي نشأة العالم، الآلهة، والأبطال، وتشكل جزءًا من التراث الثقافي والديني للحضارات القديمة(Larousse, 2019, p. 120) لقد حظي مفهوم الاساطير بانه علم نال اهتمامٍ واسعٍ لدى الباحثين، فهو يدرس الخرافات والقصص المتعلّقة بالآلهة وأنصاف الآلهة، وما تتضمّنه من تصوّرات شعبٍ ما عن الكون والحياة،وقد ذهب بعض الدارسين إلى أنّ الشعر اليوناني يستند إلى هذا النوع من الخرافات التي تفترض وجود أشياء لا تمتلك أي حظٍّ من الواقعية، مُشبّهين إيّاها ببعض الحكايات العربية القديمة من قبيل خرافة كليلة ودمنة أو قصّة ذات الصفا المنسوبة إلى النابغة الذبياني (عبّاس، ١٩٧٧م، ص ٣٥).

ومن جانب اخر عرفت هي قصة مقدسة تشرح مقتضيات حدثت في العصور الاولى، وعملت القوى الطبيعية الخارقة والالهية في تكوين النظام الكوني والانساني، وا لاساطير ليست مجرد قصص او خرافة، وانما كانت تمثل قضايا رمزية تفسر رؤية المجتمعات لعالمها انذاك(Eliade, 1991, p. 25) .

ثانياً: الاسطورة اصطلاحا:

الأســاطير: هي التي لا أصــل لها، ومعناه عندنا: ما ســطره الأولون، أي: كتبه، فالســطر: الكتابة؛ فيخبرون أنها ليســـت من عند الله تعالى، بل مما كتبها الأولون الذين لا نظام لهم، ولم يكن يقولون هذا في كل ما يتلو عليهم، ولكنهم كانوا يعارضـــونه بهذا عندما كان يتلو عليهم من نبأ الأولين، وكانوا ينسبونه إلى السحر إذا أتاهم بالآيات المعجزات.(محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣،١٠/٤٨٥)

المطلب الثاني

مصادر الأساطير في المجتمع العربي الجاهلي ودورها في بناء الفكر الديني

انتقلت الأساطير إلى العرب في العصر الجاهلي عبر التأثيرات الثقافية للحضارات المجاورة، مثل البابليين والآراميين ، اليونان، الرومان ،والفرس فقد وصلت إلينا أساطيرها من خلال نصوصٍ مكتوبة ومؤلفاتٍ موثّقة، الا إنّ الوضع لدى العرب قبل الإسلام مختلف؛ إذ لم تصلنا نصوص دينية جاهلية صريحة، ولم نجد مؤلفاتٍ تركها مؤرّخون أجانب أو إقليميون تُفصّل قصص الاساطير العربية، وقد أدّى هذا النقص في الوثائق إلى الاعتقاد لدى بعض المستشرقين بأنّ العرب في الجاهلية كانوا يفتقرون إلى أساطير دينية منظّمة، بخلاف غيرهم من الشعوب القديمة(Ali, 1976, Vol. 11, p. 19).

فاشار بعض المؤرخين وعلماء الأنساب إلى أن العرب، والفينيقيين، والآشوريين، والبابليين ينحدرون من أصول متقاربة، مما يفسر التشابه في تكوينهم الجسدي وعاداتهم، ويعزز بعض الباحثين هذا الطرح بالاستناد إلى رأي رابرتسن سميث، الذي يرى أن الشعوب التي تنحدر من أصل مشترك غالبًا ما تتقاسم العقائد والشعائر الموروثة، سواء كانت دينية أو غير دينية (ابن الكلبي، ١٩٨٥، ج. ٢، ص. ٤٦؛ ابن هشام، ١٩٩٠، ج. ١، ص. ٢٥؛ علي، ٢٠٠٦، ج. ٥، ص.٤٣)، فانعكس ذلك التاثير البابلي في ظهور معتقدات تضمنت عناصر وثنية (المسعودي، ١٩٨٩، ج. ١، ص. ٢٠٠) في أساطير سومرية وبابلية لتفسير مفاهيم مثل الخلود والسلطة الإلهية في ملحمة جلجامش و الآلهة الأولمبية لدى المجتمعات اليونانية (Kirk, 1970, p. 78) .

فقد تأثّر العرب بوثنيات بابل والروم واليمن؛ فعبدوا الكواكب كـ الزُّهرة ومردوخ وبعل،أمّا هبل، فأُدخل إلى الكعبة من خارج شبه الجزيرة العربية وأصل كلمة صنم آراميّ، كما جاء ذِكر الأصنامٍ آراميّة بثلاثة أسماء: صلم، وسنكال، وعشرة، صلم هو نفسه بعل(ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٥٢) ، مصنوع من عقيقٍ أحمر مكسور اليد جُعلت له يدٌ من ذهب، وظلّ أشهر أصنام قريش في جوف الكعبة، (سميث، ٢٠٠٥، ج١، ص. ٢٢١، لندن: دار الدراسات الشرقية) الذي عدّ إلهًا للخصب ،ومما يلفت الانتباه أنّ تتبلور فكرة عبادة الأصنام في جزيرة العرب لتصبح آلهةً رئيسة إلّا في القرن السادس قبل الميلاد، إذ كان الجاهليّ لا يعتقد أنّ الصنم خلقه أو خلق الكائنات، بل تارةً يقدّسه، وأحيانًا قد يسخر منه، وكان يصنع أحيانًا صنمًا من التمر، فإذا جاع أكله! (ابن الكلبي، ١٩٨٥، ج. ١، ص. ٦٦)

وهناك مناة، وتعني القدر أو الموت، وكان منصوبًا على ساحل البحر بين المدينة ومكة، يتقرّب إليه الأوس والخزرج وسائر العرب واللات، وقد عُبِدت في الطائف على شكل صخرة بيضاء

عظيمة، ويبدو أنّ اسمها مشتقٌّ من الشمس لدى النبطيين، أمّا العُزّى، فهي المقابلة لعشتار عند البابليين، وترمز إلى الربيع والحب والخصب، ووُصفت في بعض الروايات بالزهرة أو نجمة الصبح، وفي تراث الجاهليين أيضًا ودّ، الذي يعني شجرة الحب في الثقافة البابليّة، ويُظنُّ أنّه إله حبٍّ إغريقيّ الأصل (إيروس)، وكان تمثاله على هيئة رجل بملابس فاخرة، يتقلَّد سيفًا وقوسًا، وبيده حربة وجعبة (المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٢٠). (علي، ٢٠٠٦، ج. ٥، ص. ٤٣)

يعكس تأثر العرب بالمؤثرات الخارجية في بناء رموزهم وأساطيرهم المتنوعة، حيث استقوا بعض عناصرها من الثقافات المجاورة، ومن ذلك الإسرائيليات (اليهودية، المسيحية، والصابئة) في المناطق الحضرية كـ"يثرب" و"نجران" واليمامة (.(Wellhausen, 1927, p. 135وقد تضمّنت هذه الإسرائيليات بعض الروايات القديمة كقصص متعلقة بآدم وحواء، حيث صُوّرت حواء فيها على أنها المسؤولة عن إغواء آدم في الجنة، وهو ما يخالف النص القرآني الذي يُسند الخطأ إليهما معًا على قدم المساواة. (السعفي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ٣٠).

المطلب الثالث

العوامل الداخلية المؤثرة في تكوين الأسطورة عند العرب قبل الإسلام.

أدّت البيئة الصحراوية، ولا سيّما في منطقتي الحجاز ونجد، دورًا أساسيًا في تشكيل هذه المعتقدات، إذ أسهمت ندرة الأشجار وقلّة الموارد المائية، كالقنوات والآبار، في ترسيخ حالة من الاتكالية والاعتماد على قوى الطبيعة، كترقّب نزول المطر. كما انعكس نقاء الصحراء وصفاء السماء على أسلوب العربي الجاهلي في التعبير، فجاء خطابه واضحًا ومباشرًا.، خاليًا من التعقيد، ودقيقًا في وصف المرئيات، وفي ظل هذه الظروف، ازدهرت لديه أشكال متنوعة من العِرافة والتطيّر، حيث لجأ إلى الاستقسام بالأزلام، والإيمان بالفِراسة والقيافة، واستنباط الأسرار من العلامات المحسوسة (ابن قتيبة، ١٩٩٢، ج. ١، ص. ٨٨؛القزويني، ١٩٧٧، ج. ١، ص. ٥٥؛ المسعودي، ١٩٨٩، ج. ٢، ص. ١٥٦).

ارتبط انتشار الاساطير بعتقاد العرب ان بعض الأشجار والصخور تحتوي على قوى روحية ، فقدّس العرب بعض الأشجار مثل النخيل والرتم، بينما اعتبروا أن شجرة الحماطة تحمل روح الشر ، (الأزرقي، ٢٠٠٣، ج. ٢، ص. ٢١٠)، فقد اتخذ العرب شجرة من نوع (الرتم) حارسًا على زوجته، وقدّس الجاهليون الأشجار وعدّوها أحيانًا طوطمًا، ولم يقتصر الأمر على الشجر؛ بل شمل كل ما يتّصل به من أغصان وأعواد وجذور، كما قدّسوا العظام والريش والأنياب والمخالب والحوافر والأحجار، وقدموا لها القرابين، واتخذوها تمائم تُعلَّق في أعناق الصبيان للحماية من العين والخطف، وعبدوا النار لارتباطهم بها في مواقدهم، وربطوها بالخشب والأحجار التي تُشعل منها، (زيدان، د.ت، ج. ١، ص. ١٩)، واعتقد العرب اعتقادات متعلقة بتأثير الجبال في حياتهم، مثل جبل أبي قبيس الذي ظنّوا أنه يشفي الصداع، وجبل خودقور الذي ادّعوا أنه مصدر لتعليم السحر (زيدان، د.ت، ج. ١، ص. ١٩).

بينما ارتبطت الأساطير الجاهلية بحركة النجوم والكواكب، إذ انتشرت قصصٌ حول نجم سهيل، العبور، والغميصاء، التي صُوّرت على أنها نجومٌ متحدة انفصلت فيما بعد، مما يعكس ميثولوجيا محلية تتعلق بالكون والأجرام السماوية (البلخي، ١٩٩٥، ج. ٣، ص. ١٤)، كما اعتبر العرب بعض الكواكب رموزًا إلهية، مثل كوكب الزهرة الذي نُسجت حوله أسطورة تحكي عن امرأة حسناء تحوّلت إلى نجم(Peters, 1994, p. 56؛ An-Nuwayri, 1990, Vol. 2, p. 239).

نشأت أساطير العرب قبل الإسلام من واقع حياتهم اليومية، نتيجة ما امتلكوه من خيالٍ واسع أتاح لهم تجسيد بعض المعاني المجردة في رموزٍ حيوانية؛ فارتبطت الشجاعة بالأسد، والمكر بالثعلب، والوفاء بالكلب، والصبر بالحمار، مما أسهم في ظهور بذور الطوطمية عبر تقديس بعض الحيوانات واتخاذها رموزًا للقبائل، وإطلاق أسمائها عليها، مثل بني كلب وبني أسد ، وظنّوا أنها

توفر الحماية، حتى أنهم كانوا يدفنونها أو يكفّنونها كما يُفعل بالبشر (القزويني، ١٩٧٧، ج. ١، ص. ٨٨). (الدميري، ١٩٨٠، ج. ١، ص. ١٢).

اختلفت الروايات حول مدى إمكانية تكاثر الممسوخ، فرزت فكرة المسخ وتحولات البشر إلى كائنات أخرى ، إذ اعتقد العرب أن بعض البشر تحوّلوا إلى حجر، أو شجر، أو حيوان،اذ كانت تعكس تصوّراتٍ رمزيةً حول العقاب الإلهي أو التحوّل الوجودي، كما يمكن أن تعبّر عن محاولاتٍ لتفسير الظواهر الطبيعية، مثل القصص المتعلقة بأساف ونائلة أو الاعتقاد بأن الضبّ كان إنسانًا ممسوخًا كما أشار بعضهم إلى أن بعض المسوخ لا تتناسل، بينما اعتقد آخرون أن نسلها مستمر، (الأزرقي، ٢٠٠٣، ج. ٢، ص. ١١٢). (القزويني، ١٩٧٧، ج. ١، ص. ٨٨). (الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٤٥، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٠م). المقريزي، إمتاع الأسماع، ج٥، ص١٤٧، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٨م). (ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٥٢).

تنوعت الأساطيرمنها البطولية التي كانت جزءًا أساسيًا من الموروث العربي، حيث نسجت قصص عن أبطال خارقين، مثل عنترة بن شداد، والزير سالم، وسيف بن ذي يزن، الذين خاضوا معارك ملحمية، أضفيت عليها عناصر خيالية (ابن قتيبة، ١٩٩٢، ج. ١، ص.٨٨).

كانت أساطير الجن والسعالي تحتل مكانة بارزة في حياة العرب قبل الاسلام ، حيث اعتقد بوجود كائنات خفية تؤثر في حياتهم، مثل الغول والنسناس، وتحوّلت بعض هذه الكائنات إلى رموز أدبية لاحقًا، كما في شخصية تأبط شرًا الذي ارتبط بالجن في بعض الروايات (المسعودي، ١٩٨٩، ج. ١، ص. ٢١٠) .

المبحث الثاني: التصور الإسلامي للأساطير العربية قبل الإسلام

المطلب الاول: الاساطير العربية وموقف الإسلام منها

عالج التراث الإسلامي الأساطير العربية قبل الإسلام بنهج نقدي وتحليلي، حيث هدفت النصوص الدينية والتفاسير الإسلامية إلى تصحيح بعض المفاهيم التي كان العرب يعتنقونها، وإيضاح الفارق بين المعتقدات الوثنية والخرافية وبين العقيدة الإسلامية التي جاءت لتصحيح هذه الانحرافات الفكرية. وقد تجلّى هذا المنهج في القرآن الكريم وكتب التفسير والسير النبوية، كما تناولته الدراسات الفكرية الإسلامية التي تناولت الأسطورة ضمن سياق العقيدة الإسلامية، موضحة كيفية توافق النصوص الدينية مع تصحيح الموروث الأسطوري وتحويله إلى فهم عقلاني وموحد.

ضمنت هذه المعتقدات حتى مطلع العصر الإسلامي، مختلطًا في أحيانٍ كثيرة بمعتقدات اليهود والنصارى، فكانت كلُّ قبيلةٍ تملك صنمًا تحلف به وتتقرّب إليه بالقرابين، إلى أن ظهرت في مكة دعوة النبي محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– بالتوحيد، فحطَّمت عادات عبادة الأصنام وحصرتها في إطار الشرك والضلال،ولم يكن التوحيد معروفًا عند الجاهليين إلّا بصورة محدودة، مثل ما عُرف عن ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش وغيرهما من الحنفاء الذين انصرفوا عن الوثنيّة ومالوا إلى المسيحيّة أو بحثوا عن الدين الحق، حتى جاء الإسلام وأعلن توحيد الله الواحد (الأزرقي، أخبار مكة، ج٢، ص١٣٠).

استمرّت بعض الأساطير والخرافات بالتداول، ونقلت إلينا لاحقًا بشكلٍ غامضٍ أو ناقصٍ بفضل جهود المؤرخين المسلمين، ويرى بعض الباحثين

انّ قصّة ذو القرنين ويأجوج ومأجوج نموذجًا لتداخل الرواية القرآنية مع ما أُضيف إليها من أساطيرٍ في بعض التفاسير المتأخّرة، ينصّ القرآن الكريم على تمكين الله لذي القرنين في الأرض وقدرته على بلوغ مشرقها ومغربها، مع بيان أنّ ما ذُكر من أحداثٍ عنه إنّما هو وحيٌ أوحاه الله إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، دون حاجةٍ إلى الاعتماد على الإسرائيليات أو المرويات المبالَغ فيها (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج. ٣، ص ٨٢).

يجد عددٌ من المفسّرين أنّ تجاوز النصّ القرآني باتجاه قصصٍ غير موثوقة، كالتي وردت في بعض كتب التفسير الإسرائيلية أو المرويات الضعيفة، قد يسيء إلى مفهوم القصة القرآنية الغنيّ بذاته، ومن ثمّ لا ينبغي التوسّع في تفاصيلٍ لم يرد بها دليلٌ صحيحٌ حفاظًا على منهجية التحقيق العلمي واحترامًا للمستوى الذي ارتضاه القرآن نفسه في العرض (الطبري، ٢٠٠٣، ج. ١٦، ص ١٠). يشير بعض الباحثين المعاصرين إلى أنّ التراث الإسلامي قد حظي بمكانةٍ خاصّةٍ للماء، وذلك لأسبابٍ عقديّةٍ ترتبط بمركزية الماء في خلق الكائنات، وورود ذكر العرش على الماء،

في حين أنّ بعض الثقافات القديمة تصوّرت الإله مقيمًا في قصره بقاع البحار أو عند ملتقى النهرين (السعفي، ٢٠١٠، ص ٧٨)

غير أنّ هذه المقارنة تستلزم الحذر الشديد؛ ذلك أنّ صورة الإله في التصوّر الإسلامي متعاليةٌ عن هيئاتٍ حسّيةٍ ماديّة،وفي السياق ذاته تتعدّد الرؤى بشأن قصّة هبوط آدم وحواء، حيث يتوقف بعض المفسّرين عند تصوير القرآن الكريم لمسؤوليّة كليهما في الأكل من الشجرة، بينما قدّمت بعض الإسرائيليات والروايات الضعيفة حواء في دور المُغوية الأولى لآدم، وينبّه الامر إلى خطورة خلط هذه المرويات –التي ربّما تسلّل بعضُها عبر كعب الأحبار أو غيره– مع الأحاديث الصحيحة، لا سيّما عند تناول مسائلٍ عقديّةٍ أو خلقية (ابن كثير، ٢٠٠٠م، ج. ١، ص ٥٠)

يبدو أنّ تفسير الطبري أو غيره من كتب التراث أورد رواياتٍ متباينةٍ في شأن قصة آدم وحواء، بعضها ورد منسوبًا لابن عباس أو ابن مسعود أو وهب بن منبّه،وفي أحيانٍ عديدة، كان ابن كثير مثلًا يُعلِّق على هذه الروايات بقوله: هذا غريب أو فيه نظر ، ممّا يشير إلى وعي العلماء المسلمين المبكّر بأنّ كثيرًا من القصص المرتبطة بأنبياء بني إسرائيل أو قضايا الخلق الأولى قد يكون مصبوبًا في قوالب أسطوريةٍ متوارثة، لذلك تقتضي الأمانة العلمية التحرّي والفرز بين الصحيح والمرفوض، واستبعاد كلّ ما يتعارض مع أصول الإسلام (ابن كثير، ٢٠٠٠م، ج. ١، ص ٤٩).

المطلب الثاني: موقف القرآن الكريم من الأساطير

وردت عبارة "أساطير الأولين" في القرآن الكريم على لسان المشركين الذين اتهموا النبي محمد ﷺ بأن ما يتلوه من آيات ليس وحياً إلهياً، بل مجرد حكايات وروايات قديمة مسطرة عند الأقدمين، يعيد تداولها. وقد تناول القرآن هذه القضية من خلال:

١ .نفي الأصل الإلهي عن تلك الأساطير: "إذ أشار القرآن الكريم إلى أن المشركين كانوا يصفون القصص التي يتلوها النبي بأنها "أساطير الأولين"، أي تراث بشري قديم مختلط بالخرافات والتقاليد الوثنية، لا صلة له بالوحي السماوي.

٢ .الرد على الاتهام: أكد القرآن لكريم أن ما جاء به النبي ليس من صنع البشر أو منقولاً عن الماضين، بل هو تنزيل من الله العليم الخبير، وأن هذه التهمة دليل على إنكارهم وجحودهم.

٣ .التحذير من التعلق بالأساطير: أشار القرآن الكريم إلى أن التمسك بالروايات الواردة عن الأولين دون تمحيص، واعتبارها مساوية أو معارضة للوحي، هو ضلال واتباع للهوى، بينما القرآن هو الفرقان الذي يميز الحق من الباطل.

٤ .إن وظيفة القصص القرآني: خلافاً لـ"أساطير الأولين" التي تروى للتسلية أو الترهيب دون هدف هداية، فإن القصص في القرآن الكريم جاءت مقصودة لتحقيق العبرة والموعظة وإقامة الحجة، وتأكيد سنن الله في الأمم.

وبهذا يفرق القرآن الكريم بين التراث الأسطوري الوثني الذي لا يستند إلى وحي، والقصص القرآني المبني على الحق والهدى، منها قوله تعالى:﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣١).

يُشير هذا المفهوم إلى محاولات المشركين التشكيك في الوحي، واتهام القرآن بأنه مجرد امتداد للأساطير القديمة، وهو ما رد عليه القرآن بتقديم حجج عقلية وروحية تؤكد تفرده ومصدره الإلهي (الطبري، ١٩٩٢، ج. ٩، ص. ٨٨)، كما وظّف القرآن الكريم بعض المفاهيم التي ارتبطت بالأساطير العربية، لكنه أعاد تأطيرها ضمن رؤية دينية أكثر شمولًا. فعلى سبيل المثال، تم ذكر الجن والسعالي، لكن في سياق يوضح لهم، بعيدًا عن الخرافات (ابن كثير، ٢٠٠٠، ج. ٣، ص. ٢١٠).

٢- التفسير الإسلامي للأساطير

عالجت كتب التفسير الإسلامية بعض الروايات المتداولة بين العرب قبل الإسلام، والتي تأثرت بالإسرائيليات والموروثات الدينية السابقة. ومن أمثلة ذلك:

❖ الحية في قصة الخلق

لم يرد في القرآن الكريم ذكر الحية في قصة آدم وإبليس، لكن بعض كتب التفسير المتأخرة استلهمت هذه الصورة من مصادر يهودية ومسيحية، حيث زُعم أن إبليس تسلل إلى الجنة عن طريق الحية (السعفي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ٣٠).

❖ الشجرة المحرمة

أشارت بعض التفاسير إلى أن الشجرة التي أكل منها آدم كانت شجرة المعرفة، مستندة إلى روايات غير قرآنية، بينما بقي النص القرآني أكثر إغراقًا في العجيب والغريب، إذ ربطها بمفهوم الخلود، مما جعلها رمزًا أكثر شمولًا للابتلاء الإلهي (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج. ٢، ص. ١٤٥)، بينما صغّر المفسرون من شأنها، وقد ارتبطت أنواع أخرى من الأشجار، مثل شجرة الزيتون والزقوم وشجرة الطور، بوظائف دينية أو رمزية في مختلف المعتقدات (السعفي، ٢٠١٠، ج. ١، ص. ١٠٤).،بينما طرحت بعض التفاسير الإسلامية مفاهيم متأثرة بالأساطير المحيطة، خصوصًا فيما يتعلق بانكشاف العورة بعد الأكل من الشجرة المحرمة، وقد حاول بعض الباحثين العلمانيين ربط هذه الأفكار بالتصورات الدينية الأخرى لإثبات التشابه بين الإسلام والديانات الأسطورية (أركون، ٢٠٠٥، ص.٢١٠)

المطلب الثالث

نقد العلماء المسلمين للأساطير

اهتم العلماء المسلمون بتفكيك الأساطير التي انتشرت بين العرب، وبيان حقيقتها من منظور إسلامي، ومن أبرز هؤلاء:

١. ابن تيمية (١٩٨٠)، الذي ناقش في كتابه الرد على المنطقيين الأساطير المرتبطة بالجن والخرافات الشعبية، وأوضح كيف كانت تُستخدم لتفسير الظواهر الطبيعية قبل الإسلام.
٢. ابن خلدون (١٩٩٥)، في المقدمة، حيث تناول كيفية نشوء الأساطير في المجتمعات القبلية، ودورها في تشكيل الوعي الجمعي قبل الإسلام.
٣. الشهرستاني (١٩٩٨)، في الملل والنحل, الذي استعرض المعتقدات والأساطير التي شاعت بين العرب، وبيّن أصولها وتأثيرها على الفكر العربي الجاهلي.

الأساطير في ضوء الفقه الإسلامي

تناول الفقه الإسلامي بعض العادات والأساطير الجاهلية، وناقش مشروعيتها بعد الإسلام، مثل:الاستقسام بالأزلام: وهو ضرب القداح لمعرفة المصير، وقد نهى عنه الإسلام لأنه يتعارض مع مبدأ التوكل على الله (ابن القيم، ٢٠٠٣، ص. ٢١٢)، الطيرة والتشاؤم: اعتبر الإسلام هذه الممارسات نوعًا من الشرك، حيث جاء في الحديث: لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح (رواه البخاري، حديث رقم ٥٧٧٦)،حارب الإسلام عبادة الكواكب والنجوم ، ونفى تأثير النجوم في المصائر البشرية (الألوسي، ٢٠٠١، ج. ٥، ص. ٣٠٢).

مقارنة بين الأساطير العربية والتأويل الإسلامي

قدّم الإسلام تفسيرًا متماسكًا يعتمد على الوحي والعقل، ويمكن تلخيص الفروق في الجدول التالي:

الموضوع	الرؤية الأسطورية الجاهلية	الرؤية الإسلامية
الجن والسعالي	كائنات خارقة تتحكم في البشر	مخلوقات من نار، لا تتحكم في مصير الإنسان
الطوطمية	عبادة الحيوانات كرموز قبلية	رفض عبادة أي مخلوق سوى الله
القدر والمصير	يخضع لإرادة الكواكب والنجوم	يعتمد على القضاء والقدر الإلهي
السحر والتنجيم	يؤثر في الواقع والمستقبل	مجرد خدع وشعوذة لا تملك تأثيرًا حقيقيًا

الخاتمة

أبرز النتائج والاستنتاجات

١. يتبـيَّن مـن هـذه القـراءة المـوجزة أنّ الأسـاطير عنـد عـرب الجاهليّـة تشـابكت فيهـا العقائـد والأفكـار والمظـاهر البيئيّـة والدينيّـة، ممـا أثمـر منظومـة اعتقاديّـة وأسـطورية متكاملـة، خضـعت لتـأثيرات خارجيّـة مـن حضـارات بابـل وآرام والرومـان، وتـأثيرات داخليّـة بـرزت مـن خصوصـيّة البيئـة الصـحراويّة القاسـية. وقـد وثّقـت بعـض الكتـب العربيّـة القديمـة جانبًـا مـن هـذه المعتقـدات والقصـص، وإن وصـلت إلينـا فـي سـياقاتٍ متفرّقـة وغيـر مرتبة

٢. إن الاعتماد على الرواية الشفهية دون تدوين: لم يُدوّن العرب في فترة ما قبل الإسلام نصوصًا عقائدية مكتوبة ومنظمة، بل كان نقل تراثهم الأسطوري قائمًا على الحفظ والمشافهة، الأمر الذي أدى إلى فقدان جزء كبير من هذا الموروث نتيجة غياب التوثيق الكتابي.

٣. التنـوّع العقـدي: أظهـرت البيئـة الجاهليـة تنوّعًـا هـائلًا فـي المعتقـدات، مـن عبـادة النجـوم والكواكـب والجـنّ والطوطميـة، مـرورًا بالأصـنام المحليـة والمسـتوردة، وصـولًا إلـى اعتناق بعضهم لليهودية أو النصرانية أو اتّباع الحنفاء.

٤. الأثـر البيئـي والحضـاري: لعبـت البيئـة الصـحراوية دورًا بـارزًا فـي تشـكيل الذهنيـة الدينيـة عنـد العـرب، كمـا أثّـر تواصـلهم التجـاريّ والثقـافيّ مـع حضـاراتٍ كالبابليـة والآراميـة والرومانية في إدماج عناصر خارجية في معتقداتهم.

٥. الحاجـة إلـى المـنهج النقـدي: توصّـلت هـذه الدراسـة إلـى أهمّيـة إخضـاع الروايـات المتداولـة للنقـد التحليلـي، ومقارنتهـا بالـدلائل الأثريـة والنصـوص المجـاورة؛ للتمييـز بـين الحقائق التاريخية والزيادات الأسطورية أو الإسرائيليات الدخيلة.

٦. تتكامـل جوانـب الصـورة حـول الأسـاطير فـي حيـاة العـرب قبـل الإسـلام، لتكشـف عـن حقبـةٍ غنيّـةٍ بـالتنوّع الـدينيّ والفكـري، وقـد شـكّلت الأسـاس الـذي قامـت عليـه دعـوة التوحيـد مـع رسـالة النبـيّ محمّـد ﷺ؛ إذ وجـدت مجتمعًـا يضـجّ بمـزيج مـن التـراث المحلّـي والتـأثيرات الأجنبية، فتصدّت لإعادة بناء عقيدتهم على أُسس التوحيد والعبادة الخالصة لله.

٧. تميـزت الرؤيـة الإسـلامية للأسـاطير العربيـة قبـل الإسـلام بمحاولـة تنقيـة المـوروث الـديني مـن الخرافـات والأسـاطير التـي لـم تسـتند إلـى وحـي إلهـي، مـع إعـادة تفسـير بعـض الظـواهر ضـمن إطـار عقـدي سـليم. وقـد عـالج القـرآن الكـريم والمصـادر الإسـلامية هـذه

القضـايا مـن خـلال منظـور عقلانـي وروحـي، ممـا جعـل الإسـلام يقـدم تصـورًا أكثـر شـمولية للوجود الإنساني والطبيعة الكونية

المصادر

١- الأزرقي، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) (٢٠٠٣): *مأخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطبعة دار الثقافة، مكة المكرمة.

٢- الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر .(٢٥٤هـ/٨٦٨م).(٢٠٠٠م).*الحيوان*، تحقيق عبدالسلام هارون . دار الجيل . بيروت

٣- - ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) (١٩٩٥م).
- *المقدمة*. دار الفكر . بيروت.

٤- الدميري. عبد الرحمن بن محمد (١٩٨٠). حياة الحيوان الكبرى .دار التراث العربي. بيروت.

٥- زيدان. يوسف (١٩٩٧م).*تاريخ آداب اللغة العربية*. دار الهلال . القاهرة

٦- السعفي. (٢٠١٠م) *فصول في الدراسات الحضارية*.. مركز الدراسات الحضارية.دبي.

٧- الشهرستاني. أبو حيان محمد بن عبد الله (٣٢٩هـ/٩٤١م) (١٩٨٠م). - *الملل والنحل*. دار المعرفة . بيروت.

٨- الطبري. محمد بن جرير (٣١٠هـ/٩٢٣م) (٢٠٠٣م)- *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.. دار المعارف – القاهرة – *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*.. دار الفكر. بيروت.

٩- ابن عاشور. (١٩٨٤م) – التحرير *والتنوير* . الدار التونسية للنشر. تونس

١٠- ابن عاشور. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

١١- ابن قتيبة. محمد عبد الله بن مسلم، وثروت عكاشة (١٩٩٢م)- *المعارف*. دار الكتب العلمية . بيروت.

١٢- القزويني. زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) (١٩٧٧م)

١٣- *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، تحقيق: حسين نصار. . دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤- ابن القيم. عبد الرحمن بن سعد بن أبي بكر القيم الجوزية (٧٥١هـ/١٣٥٠م) (٢٠٠٣م) - *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان* . دار المعرفة. بيروت.

١٥- ابن كثير. إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ/١٣٧٣م) (٢٠٠٠م) - *تفسير القرآن العظيم* . دار الكتب العلمية . القاهرة.

١٦- ابن الكلبي. أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر (١٩٨٥م). - *الأصنام* . مكتبة التراث . القاهرة.

١٧- الألوسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن أحمد (٨٢١هـ/١٤١٨م) (٢٠٠١م). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم* . دار الكتب العلمية . بيروت.

١٨- المسعودي. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) (٢٠٠٥م) *مروج الذهب*، تحقيق: أسعد طرابشي . دار الهلال . بيروت.

١٩- المقريزي. تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (٨٤٥هـ/١٤٤٢م) (٢٠٠٨م).- *إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع* . دار الكتب العلمية . بيروت

٢٠- ابن هشام. عبد الملك (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م) (١٩٩٠).- *السيرة النبوية* . دار الكتب العربية .بيروت.

References

1. Al-Azraqi, Muhammad ibn Abdullah (d. 250 AH / 864 CE) (2003). *Reports of Mecca and Its Monuments*, ed. Rushdi Al-Saleh Malhas. Mecca: Dar Al-Thaqafa Press.
2. Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Ahmad ibn Abd al-Halim (728 AH / 1328 CE) (1980). *Refutation of the Logicians*. Beirut: Dar Al-Fikr.
3. Al-Jahiz, Abu Uthman Amr ibn Bahr (254 AH / 868 CE) (2000). *Al-Hayawan (The Book of Animals)*, ed. Abd al-Salam Harun. Beirut: Dar Al-Jeel.
4. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Hadrami (808 AH / 1406 CE) (1995). *Al-Muqaddimah (The Introduction)*. Beirut: Dar Al-Fikr.
5. Al-Damiri, Abd al-Rahman ibn Muhammad (1980). *Hayat al-Hayawan al-Kubra (The Great Life of Animals)*. Beirut: Dar Al-Turath Al-Arabi.
6. Zaidan, Youssef (1997). *The History of Arabic Literature*. Cairo: Dar Al-Hilal.
7. Al-Sa‘fi (2010). *Chapters in Civilizational Studies*. Dubai: Center for Civilizational Studies.
8. Al-Shahrastani, Abu Hayyan Muhammad ibn Abdullah (329 AH / 941 CE) (1980). *Al-Milal wa al-Nihal (Sects and Creeds)*. Beirut: Dar Al-Ma‘arifah.
9. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (310 AH / 923 CE) (2003).
   a. *The History of Nations and Kings*, ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Cairo: Dar Al-Ma‘arif.
   b. *Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil Ay al-Qur’an (Comprehensive Interpretation of the Verses of the Qur’an)*. Beirut: Dar Al-Fikr.
10. Ibn ‘Ashur (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir (The Liberation and Enlightenment)*. Tunis: Tunisian Publishing House.
11. Ibn ‘Ashur (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Tunis: Tunisian Publishing House.
12. Ibn Qutaybah, Muhammad Abdullah ibn Muslim & Tharwat Okasha (1992). *Al-Ma‘arif (The Book of Knowledge)*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
13. Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad ibn Mahmoud (d. 682 AH / 1283 CE) (1977). *Marvels of Creatures and Strange Beings*, ed. Hussein Nassar. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

14. Ibn al-Qayyim, Abd al-Rahman ibn Sa‘d ibn Abi Bakr al-Jawziyyah (751 AH / 1350 CE) (2003). *Ighathat al-Lahfan min Masayid al-Shaytan (Relief for the Distressed from the Traps of Satan)*. Beirut: Dar Al-Ma‘arifah.
15. Ibn Kathir, Ismail ibn Umar ibn Kathir (774 AH / 1373 CE) (2000). *Tafsir al-Qur’an al-‘Azim (The Great Qur’anic Commentary)*. Cairo: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
16. Ibn al-Kalbi, Abu al-Mundhir Hisham ibn Muhammad ibn al-Sa’ib ibn Bishr (1985). *Al-Asnam (The Idols)*. Cairo: Maktabat Al-Turath.
17. Al-Alusi, Shihab al-Din Abd al-Rahman ibn Ahmad (821 AH / 1418 CE) (2001). *Ruh al-Ma‘ani fi Tafsir al-Qur’an al-‘Azim (The Spirit of Meanings in Qur’anic Interpretation)*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
18. Al-Mas‘udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn ibn Ali (d. 346 AH / 957 CE) (2005). *Muruj al-Dhahab (The Meadows of Gold)*, ed. As‘ad Tarabishi. Beirut: Dar Al-Hilal.
19. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad ibn Ali ibn Abd al-Qadir ibn Muhammad (845 AH / 1442 CE) (2008). *Imta‘ al-Asma‘ bima li al-Nabi ﷺ min al-Ahwal wa al-Amwal wa al-Hafadah wa al-Mata‘ (The Delight of Ears Regarding the Prophet’s Conditions, Wealth, Descendants, and Possessions)*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
20. Ibn Hisham, Abd al-Malik (d. 213 AH / 828 CE) (1990). *Al-Sirah al-Nabawiyyah (The Prophetic Biography)*. Beirut: Dar Al-Kutub Al-‘Arabiyyah.
21. Eliade, M. (1987). The Sacred and the Profane. Harcourt
22. Frazer, J. G. (1970). The Golden Bough. Macmillan
23. Kirk, G. S. (1970). Myth: Its Meaning and Functions. Cambridge University Press.
24. Bottero, J. (2001). Religion in Ancient Mesopotamia. University of Chicago Press.
25. Breasted, J. H. (1935). The Dawn of Conscience. Charles Scribner's Sons